التقنيات والإدارة في خدمات المكتبات والمعلومات(*)

د. عبدالرحمن فراج
قسم المكتبات والوثائق-كلية الآداب-جامعة القاهرة (فرع بني سويف)
aafarrag@hotmail.com

سوف تظل المكتبة العربية في مجال المكتبات والمعلومات مدينة بالكثير لترجمات الأستاذ الدكتور حشمت قاسم. ودأب هذا الرجل وحرصه على نقل قرائح الفكر العالمي في المجال إلى العربية، أمر ملفت للنظر حقًا. فها هو خلال السنوات الخمس الماضية فحسب يتوفر على ترجمة ثلاثة من أبرز الكتب الصادرة في قطاع تقنيات المعلومات في المكتبات، وهي (أساسيات استرجاع المعلومات (نظم استرجاع المعلومات)/ ف. و. لانكستر، و أ. ج. وورنر. ط٣، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٩٧، ٤٥٤ص)، و(تقنيات المعلومات في المكتبات والشبكات/ أودري جروش. مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٩٩٩، ٧٤٠ص)، وأخيرًا الكتاب محل هذه المراجعة والصادرة ترجمته عام ٢٠٠١م.

وتحقق ترجمات الدكتور حشمت قاسم - كما هي بين أيدينا الآن - وظيفتين مهمتين؛ فهي تربط الباحثين والاختصاصيين العرب بالاتجاهات العالمية الجارية وبجبهة البحث في المجال، ثم أنها تضع بين أيدي هؤلاء وهؤلاء وجهة نظر أحد سدنة المجال في المقابلات العربية للمصطلحات المتخصصة الحديثة والناشئة في المجال. وفيما يتصل بهذه الوظيفة الأخيرة، يشعر القارئ المتخصص بأن الدكتور حشمت يعلو على الاستسهال والسعي وراء الشائع من المصطلحات، وإنما يجهد نفسه - كمترجم ملتزم - ويزن كل مصطلح بميزان العربية ويقلبه بين مناهج نقل المصطلحات وتعريبها. ويحرص الدكتور حشمت قاسم عادةً في كتبه المترجمة على إلحاقها بقائمة بالمصطلحات، التي يظهر فيها جهده واجتهاده في وضع المقابلات العربية للمصطلحات الأجنبية. ومن وجهة نظري، فإن الكشافات الملحقة أيضا بهذه الكتب تقوم كذلك بهذا الدور، وإن لم تكن هذه هي وظيفتها الأساس، وإن لم تدرج بها المصطلحات الأجنبية مقابل المداخل العربية. من ناحية أخرى، فإن من بين أبرز ما يميز أسلوب ترجمات الدكتور حشمت قاسم جزالته واحترامه للعربية وقارئ العربية.

ولسنا في حاجة إلى الإشارة بأن هذه الترجمات ذاتها تعد بمثابة شهادة على العصر؛ فهي تحمل وجهة نظر أن الترجمة في هذه المرحلة من تطور الإنتاج الفكري العربي المتواضع - نوعًا وكمًا - ينبغي أن تحتل ركنًا أساسًا فيه، وأن ثمة طريقًا طويلة إلى الأصالة لم نقطعها بعد، وهذه الطريق تمر لا محالة بالترجمة.

(*) لانكستر، فردرك ولفرد وبث ساندور. التقنيات والإدارة في خدمات المكتبات والمعلومات. الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ز.ش، ٢٠٠١. ٤٥٦ص. ردمك ٣-٦٣-٦٢٤-٩٩٦٠.

شغلت الترجمة العربية لهذا الكتاب، الذي ينصب على إدارة التقنيات وتقنيات الإدارة في المكتبات، ٤٥٦ صفحة، توزعت على ستة عشر فصلا انتظمت في ثلاثة أقسام (شغلت جميعها ٣٧٦ صفحة، أو حوالي ٤, ٨٢٪ من المتن)، فضلا عن الملاحق وقائمة المصطلحات والمراجع والكشاف (التي شغلت بدورها ٨٠ صفحة، أو حوالي ٥, ١٧٪ من المتن). هذا إضافة إلى أربع عشرة صفحة استهلالية رقمت بالحروف الأبجدية العربية، وشغلها تصدير المكتبة ناشرة الكتاب ومقدمة المترجم وتصدير المؤلفين ولائحة الشكر وملحوظة حول تنظيم الكتاب والتعريف بالمؤلفين.

ينتظم القسم الأول من الكتاب «تأثير التقنيات في المؤسسات وإدارتها» في ثمانية فصول، ويعالج قضايا الإدارة العامة المتصلة بالتقنيات والمكتبات. يتعرض الفصل الأول منها «لماذا تستخدم المكتبات التقنيات» للأسباب المحتملة لاستخدام التقنيات في أعمال المكتبات، والتي تنطوي على الجوانب الخاصة بالحاجة إلى العاملين، وما تقدمه المكتبات من خدمات، فضلا عن إدارة المكتبات بوجه عام. ويركز الفصل الثاني على «أثر التقنيات في الإدارة وفي البناء التنظيمي»، وهو ما ينعكس على كل من تكوين الأقسام وأحجامها، ومدى المركزية في أنشطة المكتبات، ومسئوليات العاملين وتوصيف الوظائف والاستقلال على مستوى الأفرع والأقسام، وأسلوب الإدارة والمهارات الإدارية. أما الفصل الثالث فيتناول بالتفصيل مظاهر «تأثير التقنيات على العاملين في المكتبات»، والتي تشتمل على التوقعات المنتظرة من العاملين، والمهارات الجديدة والمختلفة المطلوبة منهم، وعلاقات المهنيين بغير المهنيين، وحاجة العاملين إلى التدريب، والرضاء الوظيفي وصورة الذات، والاتصال بالمستفيدين، وتراجع المقومات المهنية، ومخاوف العاملين من الأتمتة ومدى تقبلهم لها. ويفحص الفصل الرابع «التعليم والتدريب» أهمية التغيرات التقنية وتأثيرها المحتمل على تعليم كل من المستفيدين من المكتبات والعاملين بالمكتبات وتدريبهم. ويتعرض في ذلك لأثر التقنيات في أهداف التعليم والتدريب، والاتجاهات السائدة في هذا الموضوع، وتأثير التقنيات على توجيه تعليم المستفيدين، والتعليم الخاص بالوصول إلى المعلومات إلكترونيًا، وتدريب المستفيدين عن بُعد، وأخيرًا تدريب العاملين بالمكتبات. وفي الفصل الخامس «البيانات الإدارية التي توفرها النظم الآلية» يركز المؤلفان على عنصرين رئيسين، وهما التقارير الإدارية المتاحة التي يمكن الحصول عليها من النظم الآلية الحالية، والتقارير الإدارية المرغوبة أو المتوقعة. وكثيرة هي أوجه استخدام «النظم الآلية في إدارة المجموعات» موضوع الفصل السادس، وتنطوي هذه الأوجه على تحليل المقتنيات الحالية، والمقارنة بمراصد البيانات الخارجية، وتحليل الإعارات، وبناء مراصد البيانات الخاصة، ومقارنة البيانات ذات الصلة بكل من المقتنيات والإعارة والتزويد وتبادل الإعارة بين المكتبات، ومراقبة التفاعل مع الفهرس المتاح للجمهور على الخط المباشر (أوباك). فيما يتناول الفصل السابع «إدارة المجموعات والمصادر الإلكترونية» التغيرات التي

طرأت على المكتبات في السنوات الأخيرة فيما يتصل بتجميع مصادر المعلومات، وتيسير الوصول إلى مصادر المعلومات، فضلا عن محاولة التكهن بما يمكن أن تكون عليه تنمية المجموعات في المستقبل. وينظر الفصل الثامن والأخير من هذا القسم الأول من الكتاب، في تأثير التقنيات على «العلاقة بين المكتبات والمتعهدين». ويتناول المؤلفان هنا العلاقات والأدوار فيما بين الناشرين والمتعهدين والمكتبات، وآثار التغير على المتعهدين، وتأثير الإنترنت على الاتصال وخدمات المتعهدين، ومدى الاعتماد على المصادر الخارجية، والتأثيرات المشتركة لكل من التقنيات وتغير الأدوار، وأخيراً نظرة على المستقبل.

أما القسم الثاني «تأثير التقنيات في الخدمات والمستفيدين» من هذا الكتاب القيم، فيتوزع على الفصول من التاسع حتى الثاني عشر، ويعالج مختلف أوجه التقنيات التي تؤثر في المستفيدين من خدمات المعلومات على نحو مباشر، إضافة إلى بعض القضايا التنظيمية، وما للتقنيات من تأثير على المستفيدين. ويبدأ هذا القسم في الفصل التاسع بمناقشة «تأثير الأسطوانات الضوئية المكتنزة» نظراً لأنها التقنية التي انتشرت بشكل ملحوظ، ويعرض في ذلك ما للأسطوانات الضوئية المكتنزة من تأثير في كل من العاملين بالمكتبات والخدمات والمستفيدين. فيما يقارن المؤلفان في الفصل العاشر «السبل المتاحة للتعامل مع مراصد البيانات» تلك الأسطوانات بغيرها من أشكال التعامل مع مراصد البيانات، وخاصة فيما يتعلق بعائد التكلفة. ويتناول المؤلفان هنا قضايا معايير القرار، والبدائل الإلكترونية، والعوامل المؤثرة في حجم الإفادة وغيرها من العوامل، وأخيراً الاعتبارات العامة في هذا الصدد. ويناقش الفصل الحادي عشر خيارات «تيسير التعامل مع الوثائق والإمداد بالوثائق»، وتتراوح هذه الخيارات بين الدوريات الإلكترونية «الحقيقية» - أي التي يتم تصميمها من البداية للقناة الإلكترونية، وتتوافر في هذه القناة دون سواها أو بشكل أساس على الأقل - وتبادل الإعارة بين المكتبات، والموردين التجاريين، ومراصد البيانات المؤسسية. كما يتعرض المؤلفان في هذا الفصل لتكامل خدمات الإمداد بالوثائق ومستقبل تيسير التعامل والإمداد. فيما يستكشف الفصل الثاني عشر «الاتجاهات العامة في خدمات المستفيدين»، وهو آخر فصول القسم الثاني من الكتاب، تأثيرات التقنيات فيما تقدمه المكتبات من خدمات وفي أنماط الإفادة من هذه الخدمات، وهي التأثيرات التي يمكن تصنيفها في تطوير الخدمات التقليدية، وإدخال الخدمات الجديدة، وإلغاء الوساطة أو التفويض في الخدمات، وامتداد الخدمات إلى المستفيدين النائين.

أما القسم الثالث والأخير من هذا الكتاب «قضايا خاصة في إدارة التقنيات»، فيشتمل كسابقه على أربعة فصول، وذلك من الفصل الثالث عشر إلى السادس عشر، ويعالج في الفصول الثلاثة الأولى منها بعض القضايا الأكثر من غيرها إيغالاً في التخصص في إدارة التقنيات في المكتبات. وينظر الفصل الثالث عشر «المكتبات والإنترنت» في تأثير الإنترنت في خدمات المكتبات، ومفهوم المكتبة الإلكترونية،

وتأثير الإنترنت في الأدوار المهنية، وأنماط الاتصال المهني، وتغير زوايا النظر إلى تقديم الخدمات، والتعليم والتدريب في هذا المجال، وغيرها من القضايا ذات الصلة كالمشابكة والفهرسة والتكشيف ونسيج العنكبوت العالمي. أما الفصل الرابع عشر «تقييم النظم الآلية» فيستكشف مبررات تقييم أداء نظم الخط المباشر، وسبل التقييم، وحدود التقييم، وتقييم المكتبة الإلكترونية. ويلقي الفصل الخامس عشر «الذكاء الاصطناعي والنظم الخبيرة» نظرة شاملة موجزة على تطورات هذا الموضوع، خاصة بالنسبة لتطبيقاته في مجالات الفهرسة، والتكشيف الموضوعي، والبحث في مراصد البيانات، والرد على الاستفسارات، والتزويد وتنمية المقتنيات. وينتهي هذا القسم بالفصل السادس عشر «الخلاصة والاتجاهات المحتملة»، والذي يبدأ بتلخيص بعض النقاط الرئيسة التي تعرض لها هذا العمل، ثم ينظر بعد ذلك في الاتجاهات المحتملة في تطور تقنيات المكتبات ومستقبل كل من المكتبات والمكتبيين.

هذا ويلي هذا النص الأساس للكتاب ثلاثة ملاحق ترتبط ارتباطًا رئيسًا بموضوعه؛ أولها «قائمة مراجعة خاصة بتقييم الفهارس المتاحة للجمهور على الخط المباشر»، والثاني «تقرير لجنة العمل الخاصة بالتوجيه في المكتبات»، وآخرها «المختصرات والأسماء الاستهلالية الرئيسة التي وردت في النص» والتي أضاف إليها المترجم المقابلات العربية لها.

فيما ينتهي الكتاب بـ «قائمة المصطلحات» وهي من وضع المترجم، ثم قائمة المراجع، وأخيرًا الكشاف الخاص بهذه الترجمة العربية المتميزة وهو من وضع المترجم أيضًا بطبيعة الحال.

إن هذا الكتاب في الحقيقة يعد مراجعة علمية موسعة للإنتاج الفكري في مجالي إدارة التقنيات في المكتبات والتقنيات الإدارية ذات الصلة بأنشطة المكتبات، مما يجعله أداة أساس بين أيدي المديرين ومتخذي القرار في المكتبات ومرافق المعلومات العربية. وترتدي هذه المراجعة العلمية في الوقت نفسه ثوب الكتاب الدراسي مما يرشحه باطمئنان للاعتماد عليه كأحد المصادر الرئيسة في المقررات الدراسية الخاصة بإدارة المكتبات ومرافق المعلومات.

إن ترجمة هذا الكتاب إلى العربية مكسب كبير ولا شك للإنتاج الفكري العربي المتواضع في هذا التخصص الدقيق. فتحية طيبة إذن ينبغي توجيهها إلى الأستاذ الدكتور حشمت قاسم الذي لم يدخر وقتًا ولا جهدًا في نقل هذا الكتاب إلى لغتنا الأم، وتحية طيبة إلى مكتبة الملك عبد العزيز العامة إحدى المكتبات العربية القليلة التي تثري الإنتاج الفكري في مجال المكتبات والمعلومات بالإسهامات المتميزة ترجمةً وتأليفًا.